ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[١]! وهذه قضية الابتلاء في حياة التكليف! إذاً فكيف يمتاز رجال الأعراف - إن كانوا هم الأدنين - بهذه المعرفة التي تزيد على معرفة الرسول يوم الدنيا؟ إلّا أن يكون هو منهم كأفضلهم والباقون هم على هامشه.

أجل، وهذه المعرفة المتميزة عن نشأة التكليف أولاً، وعمن هم في المحشر من أصحاب الجنة وأصحاب النار، تبيّن بوضوح أن رجال الأعراف هم أعرف العارفين بالله، حتى اختصهم الله في ذلك الموقف الحاسم القاصم أن يكونوا مثله وآيته وإذاعته بين أهل الحشر كلهم.

والقول إن ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٢] تُحدِّد كلَّ الأبصار في ذلك اليوم، مردود بأنه حديد في إبصار أعمال كلّ حيث ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٣]، كما القول إن ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾[٤] تعمم تلك المعرفة لأهل الحشر؟ فإن ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ تقرر فاعل المعرفة هذه ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾ أنه الأخذ الرباني بالنواصي والأقدام.

فليس هناك مجال لهذه المعرفة الشاملة كل أهل الجمع إلّا لأقرب المقربين إلى الله.

٤ - ثم ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ برهان قاطع لا مرد له على أنهم هم الأعلون في المحشر المعشر، حيث يحملون - هم - سلام الله إلى أهل الله، لمكان ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[٥] ولا يحمل سلام الرب الرحيم

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٣.
(٢) سورة ق، الآية: ٢٢.
(٣) سورة ق، الآية: ٢٢.
(٤) سورة الرحمن، الآية: ٤١.
(٥) سورة يس، الآية: ٥٨.

إلى عباده الصالحين إلّا أصلح الصالحين الذين يمثلون أمره ويحملون القمة العليا من رسالته الربانية، ولو أنهم من المرجوين لأمر الله إذ خلطوا عملاً صالحاً وآخر شيئاً، كانت حالهم تشغلهم عمن سواهم!.

وأما ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ فليست لتعني رجال الأعراف، حيث كونهم على الأعراف يعرفنا أنهم لمّا يدخلوها، فلا مبرر - إذاً - لذلك التكرار، مع أن أقرب المرجعين المحتملين لضمير الجمع هم ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ كما ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ الآتية صارحة صارخة أنهم ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

كما وأن ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ لا تدل على أنهم من الأذنين، فإنها دعاءٌ لأصلح الصالحين إلى من دونهم من سائر الصالحين.

وقد تعني ﴿مَعَ﴾ هنا معية المكان، ألا توقفنا ربّنا في هذا الموقف صرفاً لأبصارنا تلقاء أصحاب النار إلّا قدر واجب الحوار وتقرير المصير، ومعية الشفاعة منا لمن لا يستحقونها، ونحن غير مأذونين فيها، وأخيراً معيتهم في دخول النار تخذلاً وتذللاً لأنفسهم أمام الله كأنهم لا يستحقون الجنة فإنها قضية فضل الله ورحمته وليست قضية عدله.

٥ - ثم ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا...﴾ في ذلك التأنيب العجيب، ليست في ذلك الموقف الرهيب إلَّا من ممثلين لأمر الله، المرسلين من قبل الله، في ذلك الحوار الحاسم وفي تقرير المصير.

٦ - وأخيراً ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ولا نجد أمراً لأصحاب الجنة بدخول الجنة في القرآن كلّه إلّا من قبل الله إذ ﴿يَا عِبَادِ... ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾[1] حيث يعني طليق الدخول في الجنة برزخاً وفي الآخرة.

ثم ليس إلّا من ملائكة الرحمة خطاباً للصالحين إذ يتوفونهم: ﴿سَلَامٌ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٩.

عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[١] وهو خاص بجنة البرزخ، ومن ثم ليس إلّا ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[٢] وقد تعني ﴿خَزَنَتُهَآ﴾ ملائكة خصوصاً، أم هم رجال الأعراف، أم وهما معاً، فمن ثم خطاب وسيط بين المرحلتين هو ثاني الخطابين في المحتد، حيث يعني جنة الآخرة كما هنا:

﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ فمهما كان ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ الأخروية مشتركة بعد الله بين فريقي الخزنة، فـ ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ ميزة لرجال الأعراف بين كلٍّ أهل الجنة.

إذاً فرجال الأعراف هم أعلى موقفاً ومحتداً من ملائكة الله، ومن كلٍّ أهل الحشر دونما استثناء.

هذه تعريفات بهم في مواقفهم على الأعراف، ثم لا نجد ولا لمحة أنهم بحاجة إلى شفاعة أماهيه من مكفّرات، إنما هم: ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ...﴾ بهذه المواصفات الست، المنقطعة النظير عن كلّ بشير ونذير، اللّهم إلّا لأعرف العارفين بالله، وأعبد العابدين لله، وأقرب المقربين إلى الله، فهم الممثلون أمر الله في حوارهم هناك وفي تقرير المصير، والسّلام على أصحاب الجنة وأمرهم بدخولها، فهل هم - بعد - الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم؟ كلّا ثم كلّا.

ذلك، ولكن جواباً عن سؤال: فأين - إذاً - موقف ﴿مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾[٣] و﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ...﴾[٤]؟.

(١) سورة النحل، الآية: ٣٢.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٧٣.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٦.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٢.

نقول: لأنهم - إذاً - ليسوا - بعد - لا من أصحاب النار ولا من أصحاب الجنة، فليكونوا في موقع من الأعراف دان، إذاً فأصحاب الأعراف اثنان هما رجال الأعراف وأصحابهم، فالأولون يذكرون في هذه الآيات أصلاء لأنهم يحملون أمر الله بحوار وسائر الأمر بين فريقي الجنة والنار، والآخرون هم على هامش أصحاب الجنة ينتظرون حيث هم مرجون لأمر الله فهم - إذاً - راجون، والشافعون لهم بعد كلِّ المكفرات هم رجال الأعراف.

فالأحاديث المفسرة لأصحاب الأعراف بأنهم الرفيق الأعلى[1] تعني

(١) نور الثقلين ٢: ٣٢ في تفسير القمي قال الصادق عليه السلام: كلّ أمة يحاسبها إمام زمانها ويعرف الأئمة أولياءهم وأعداءهم بسيماهم وهو قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَٰهُمْۚ﴾ [الأعراف: ٤٦] فيعطوا أولياءهم كتابهم بيمينهم فيمروا إلى الجنة بلا حساب ويعطوا أعداءهم كتابهم بشمالهم فيمروا إلى النار بلا حساب، وفيه عن معاني الأخبار خطبة لعلي عليه السلام وفيها يقول عليه السلام: ونحن أصحاب الأعراف أنا وعمي وأخي وابن عمي والله فالق الحب والنوى لا يلج النار لنا محب ولا يدخل النار لنا مبغض لقول الله عزوجل: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ...﴾. وفيه عن الكافي عن صفوان قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: جاء ابن الكوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَٰهُمْۚ﴾ فقال: نحن على الأعراف، نعرف أنصارنا بسيماهم ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله عزوجل إلا بسبيل معرفتنا ونحن الأعراف يعرفنا الله عزوجل يوم القيامة على الصراط فلا يدخل الجنة إلّا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه، وفيه عن كشف الغمة عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل فيه: فالأوصياء قوّام عليكم بين الجنة والنار، لا يدخل الجنة إلّا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم وأنكروه لأنهم عرفاء العباد عرفهم الله إياهم عند أخذ المواثيق عليهم بالطاعة لهم فوصفهم في كتابه فقال عزوجل: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ...﴾ وهم الشهداء على الناس والنبيون شهداؤهم بأخذهم لهم مواثيق العباد بالطاعة، وفي تفسير العياشي عن علي عليه السلام قال: أنا يعسوب المؤمنين وأنا أوّل السابقين وخليفة رسول رب العالمين وأنا قسيم الجنة والنار وأنا صاحب الأعراف، وفيه عن هشام عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزوجل: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ...﴾ ما يعني بقوله؟ قال: ألستم تعرفون عليكم عرفاً على قبائلكم لتعرفوا من فيها من صالح أو صالح؟ قلت: بلى، قال: فنحن أولئك الرجال الذين يعرفون كلًّا بسيماهم وفيه عن زاذان عن سلمان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام أكثر من عشر مرات: يا علي إنك والأوصياء من بعدك أعراف بين الجنة =

الأولين، والمفسرة لهم بأنهم الفريق الأدنى[١] تعني الآخرين، والمفسرة لهم

= والنار، ولا يدخل الجنة إلّا من عرفكم وعرفتموه ولا يدخل النار إلّا من أنكركم وأنكرتموه، وفيه مثله عن سعد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام وعن الثمالي عنه عليه السلام وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: ولأهل التواضع سيماء يعرفه أهل السماء من الملائكة وأهل الأرض من العارفين قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦].

وفي إحقاق الحق (٣: ٥٤٣) حول الآية ممن نقل نزولها في علي عليه السلام الهيثمي في الصواعق المحرقة (١٦٧) والقندوزي في ينابيع المودة (١٠٢) وفي (١٤: ٣٩٦ - ٣٩٨) ومنهم الثعلبي في الكشف والبيان (٣٥٣) وابن طلحة في مطالب السؤول في مناقب آل الرسول (١٧) والذهبي في ميزان الاعتدال (٢: ٣) والحسكاني في شواهد التنزيل (١: ١٩٨) والبدخشي في مفتاح النجا (٣٨) والشافعي في المناقب (١٥٦) والحضرمي في وسيلة المآل (١٢٢) والأمر تسري في أرجح المطالب (٨٤) والبدخشي في مفتاح النجا (مخطوط) عن علي كرم الله وجهه في الآية قال: نحن أصحاب الأعراف من عرفناه بسيماه أدخلناه الجنة.

(١) في الدر المنثور ٣: ٨٧ - أخرج أبو الشيخ وابن مردويه وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: توضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صؤابة دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون، أقول: أقل ما فيه أن حصر أصحاب الأعراف فيهم لا يناسب مواضع من هذه الآيات، ثم وزن السيئات ينافي ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] اللهم إلّا أن يختص بمن ليست له حسنات، وكذلك الحديث «السيئات خفة الميزان والحسنات ثقل الميزان» وفيه أخرج ابن جرير وابن المنذر عن أبي زرعة عمرو بن جرير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن أصحاب الأعراف فقال: «هم آخر من يفصل بينهم من العباد فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال: أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلوا الجنة فأنتم عتقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم». وفيه أخرج البيهقي في البعث عن حذيفة أراه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يجمع الناس يوم القيامة فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة ويؤمر بأهل النار إلى النار ثم يقال لأصحاب الأعراف: ما تنتظرون؟ قالوا: ننتظر أمرك، فيقال لهم: «إن حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم فادخلوا الجنة بمغفرتي ورحمتي». وفيه عن عبد الرحمن المزني قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن أصحاب الأعراف فقال: «هم قوم قتلوا في سبيل الله في معصية آبائهم فمنعهم من النار قتلهم في سبيل الله ومنعهم من الجنة معصية آبائهم». أقول: معصية الآباء في القتل في سبيل الله هي من المكفّرات وكما قال الله: ﴿... وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ...﴾ [آل عِمرَان: ١٩٥]، وهذا إذا لم يكن القتال واجباً معيناً فإن فيه لا عصيان، وفي =

بأنهم الفريقان[١] تعنيهما تفسيراً للأولين وتأويلاً للآخرين، فقد تصدق هذه الثلاث إلّا ما فيها من شطرات لا تلائم القرآن.

= غير المعين يجبر العصيان بالشهادة. وفيه أخرج الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن أبي سعيد الخدري قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: هم رجال قتلوا في سبيل الله وهم عصاة لآبائهم فمنعتهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنعتهم المعصية أن يدخلوا الجنة وهم على سور بين الجنة والنار حتى تذبل لحومهم وشحومهم حتى يفرغ الله من حساب الخلائق فإذا فرغ من حساب خلقه فلم يبق غيرهم تغمدهم منه برحمة فأدخلهم الجنة برحمته، ورواه مثله معنوياً أبو هريرة وعبد الله بن مالك الهلالي عن أبيه وابن عباس ومحمد بن المنكدر عن رجل من مزينة عنه ﷺ، وفيه أخرج البيهقي في البعث عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب فسألناه عن ثوابهم فقال: «على الأعراف وليسوا في الجنة وليسوا مع أمة محمد ﷺ فسألناه وما الأعراف؟ قال: حائط الجنة تجري فيه الأنهار وتنبت فيه الأشجار والثمار» أقول: هذا خلاف الضرورة القرآنية في عدم التفرقة بين الجنة والناس وسائر المكلفين في الجزاء الوفاق، وعلى أية حال فهذه الأحاديث لا توافق القرآن في مواضيع عدة.

ومن طريق أصحابنا في نور الثقلين ٢: ٣٤ عن أصول الكافي بسند متصل عن حمزة بن الطيار قال لي أبو عبد الله عليه السلام: الناس على ستة أقسام، قال قلت: تأذن لي أن أكتبها؟ قال: نعم قلت: ما أكتب، قال: اكتب: أصحاب الأعراف، قال قلت: وما أصحاب الأعراف؟ قال: «قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فإن أدخلهم النار فبذنوبهم وان أدخلهم الجنة فبرحمته».

أقول: قضية ذلك الاستواء تكفير الذنوب وإن بدخول النار ردحاً من الزمن ثم دخول الجنة بحسناتهم، اللهم إلّا أن تعني مكوث الأعراف غفر سيئاتهم دون عذاب. وفيه عن القمي عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: أقبل علي فقال لي: ما تقول في أصحاب الأعراف؟ فقلت: ما هم إلّا مؤمنين أو كافرين، إن دخلوا الجنة فهم مؤمنون وإن دخلوا النار فهم كافرون، فقال: والله ما هم بمؤمنين ولا كافرين، ولو كانوا مؤمنين لدخلوا الجنة كما دخلها المؤمنون ولو كانوا كافرين لدخلوا النار كما دخلها الكافرون ولكنهم قد استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم الآمال وإنهم لكما قال الله عزوجل، فقلت: أمن أهل الجنة هم أم من أهل النار؟ فقال: أتركهم حيث تركهم الله، قلت: أفنرجئهم؟ قال: نعم أرجئهم كما أرجأهم الله، إن شاء أدخلهم الجنة برحمته وإن شاء ساقهم إلى النار بذنوبهم ولم يظلمهم، فقلت: هل يدخل الجنة كافر؟ قال: لا، قلت: فهل يدخل النار إلّا كافر؟ قال: فقال: لا إلّا أن يشاء الله، يا زرارة إنني أقول ما شاء الله، وأنت لا تقول ما شاء الله، أما إنك إن كبرت رجعت وتحللت عنك عقدك.

(١) في المجمع قال أبو عبد الله عليه السلام: الأعراف كثبان بين الجنة والنار يوقف عليها كلّ نبي =

ذلك، وإلى تفصيل لكلٍّ مقاطع الآيات الأربع بشأن رجال الأعراف وأصحاب الجنة والنار:

﴿وَبَيْنَهُمَا﴾ بين الجنة والنار، أو بين أصحاب الجنة والنار وهو الأظهر قضية ذكرهم من ذي قبل أم هما معنيان معاً.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ عله سور له باب: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ...﴾[1].

فـ ﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾ هي أعراف الحجاب بينهما، والحجاب هو السور المضروب بينهما، وهو بطبيعة الحال باطنه - وهو جانب أصحاب الجنة - فيه الرحمة، وظاهره - وهو جانب أصحاب النار - من قبله العذاب.

وهنا بجانبي السور الحجاب حوار بين أهل الجنة والنار، وحوار لرجال الأعراف مع الفريقين بتقرير المصير بعد بيان المسير.

﴿وَنَادَوْا۟﴾ رجال الأعراف ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلاماً قبل دخول الجنة إذ ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾: أن يدخلوها.

= وكل خليفة مع المذنبين من أهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده وقد سبق المحسنون إلى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه: انظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سبقوا فيسلم عليهم المذنبون وذلك قوله: ونادى أصحاب الأعراف.. ثم أخبر سبحانه أنهم لم يدخلوها وهم يطمعون، يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون أن يدخلهم الله بشفاعة النبي والإمام وينظر هؤلاء المذنبون إلى أهل النار فيقولون ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين - ثم ينادي أصحاب الأعراف وهم الأنبياء والخلفاء رجالاً من أهل النار مقرعين لهم ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف: ٤٨-٤٩] - يعني أهؤلاء المستضعفين كنتم تستضعفونهم وتحتقرونهم بفقرهم وتستطيلون بدنياكم عليهم ثم يقولون لهؤلاء المستضعفين عن أمر من الله بذلك لهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩] وروى القمي في تفسيره عنه عليه السلام ما يقرب منه عنه عليه السلام.

(١) سورة الحديد، الآيتان: ١٣، ١٤.

وترى كيف ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ دون «يوقنون» وهم ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ حسب النص؟

إنهم ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ حيث هم مسيرهم الجنة بعد عفو الله وغفره وبمنّه وحنانه، فـ ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ بشارة لهم من رب العزة ولمّا يدخلوها، أم ولمّا يعلموا أنهم من أصحابها، فلأنهم درجات حسب درجات إيمانهم وعمل الصالحات، فالحالة الهالة العامة لهم هي ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ رجاء تكفير سيئاتهم دون عذاب، وحتى إذا بشروا بالجنة وهم يعلمون، فهم - بعد - بين الخوف والرجاء، خوف من قصورات لهم وتقصيرات، وأنهم مهما كانوا صالحين دون تقصير فلا يستحقون الجنة بأعمالهم، اللهم إلّا برجاء الرحمة الربانية، إذا ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

ذلك وقد تأتي ﴿يَطْمَعُونَ﴾ في مورد العلم تذللاً وتطامناً أمام رب العزة وكما قال إبراهيم:

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[1] وكذلك الذين اتبعوه من النصارى المؤمنين بهذه الرسالة السامية: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾[2].

وكذلك السحرة المؤمنون أفضل إيمان من أعضل كفر وأرذله: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3] وفي هذه الآية المرحومة: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[4].

(١) سورة الشعراء، الآية: ٨٢.
(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٨٣، ٨٤.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ٥١.
(٤) سورة السجدة، الآية: ١٦.

فالطمع الصالح لدخول الجنة هو للصالحين مهما كانوا من المعصومين كإبراهيم، فضلاً عن كلِّ أصحاب الجنة حيث هم ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ قبل صدور الأمر الذي يحمله رجال الأعراف بـ ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾:

هنا ﴿صُرِفَتْ﴾ دون «صرفوا» تلمح بانصرافهم تلقاء أصحاب النار دون صرف منهم باختيار، فإنما هو صرف رباني وأمرٌ من ساحة العزة أن يصرفوا أبصارهم تلقاء أصحاب النار لواجب تقرير المصير بواجب الحوار.

وهنا حيث يفاجؤون برؤية هؤلاء الظالمين ابتدروا بدعاء: ﴿رِجَالٌ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الذي ربانا بهذه التربية القمة العالية المرموقة: ﴿قَالُوا رَبَّنَا﴾ لا في الجنة ولا في النار، فالظالمون الذين لا يستحقون الجنة، لا تجعلهم فيها معنا، ولا تجعلنا معهم أولاء في النار، ولا تجعلنا مع المحكومين بالنار في شفاعة لهم، ولا تجعلنا معهم قبل دخول الجنة والنار، أكثر من قدر الحوار وتقرير المصير.

فالمعية بين رجال الأعراف وأصحاب النار في أية مرحلة - إلّا الحاسمة القاسمة بينهم - هي معية بعيدة عن الرحمة، مهما لم تكن فيها زحمة العذاب، فلو دخلنا النار بعذاب لهم ولنا دون عذاب، فحق لك يا رب إذ لا نستحق نحن الثواب مهما لا نستحق العقاب، فإلى المفاصلة التامة الطامة بيننا وبين الظالمين الذين لا يستحقون الجنة، وحتى إذا دخلوا الجنة باستحقاق بعد ذوق عذاب مستحق، متخلصين عن أعباء الظلامات، فقضية مختلف الدرجات ألا تجعلهم معنا في مقامنا في الجنة، مهما ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾[1]!.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

ولكن فلنكن في مقامنا كما نستحق، وهم كما يستحقون في أماكن ومكانات، في الأصل وبمعرفة أصحاب الجنة.

فقد تطلبوا في ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سدّ هذه الأبواب السبعة من المعيات المعنيات من ﴿مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ذلك، وقد يلمح ضمير الجمع - الجائز الرجوع هنا إلى أصحاب الجنة لأنهم الأقربون مرجعاً، والرجوع إلى أصحاب الأعراف لأنهم الأقربون موقعاً، فإنهم محور الكلام هنا - يلمح بعناية أصحاب الجنة مع أصحاب النار، فلئن كان القصد إلى خصوص أصحاب الأعراف لذكروا كما يذكرون في التالي: ونادى أصحاب الأعراف، وذلك في تفسير الظاهر، ثم في التأويل يعني معهم الأدنون في الأعراف، فهذا الدعاء هو طبيعة الحال في الفِرَق الثلاث، مهما كان للآخرين رجاء باحتمال النجاة، وللأوسطين أرجى، ولأصحاب الأعراف فوق الرجاء، ولكلٍّ في هذا الدعاء موقع يناسبه، في نفسه وباختلاف دركات المعيات المعنية من ﴿مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ألا تجعلنا معهم، سواء فيما يجوز عدلاً أما لا يجوز.

فجعلهم كلّهم مع القوم الظالمين في عذاب النار أم في مقامات الجنة بعد ما ذاقوا عذاب النار فاستحقوا دخول الجنة كبعضهم، ذلك خلاف العدل، فالدعاء بالنسبة لمعيتهم يصبح كـ ﴿رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾[1] فإنه صِرفُ الالتجاء في الدعاء، وكما يلحّق هنا ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[2].

وأما جعلهم معهم في المحشر أكثر من تكملة الحساب والحوار، أم بقاء الترائي بعد الدخول في الجنة والنار، أم دخولهم مع أصحاب النار في

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١١٢.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١١٢.